قراءة في: كتاب الحضارة الإسلامية للدكتور عبد الله محمد الأمين

أ.محمد حمد محمد أحمد*

مدخل.

لم تشهد الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل حالة من التفكك والأذلال كالتي نواجهها اليوم . أنها تبدو الآن كمن ظل طريقه وسط عاصفة صحراوية عاتية وظل يسير على غير هدى – دون هدف محدد.

فالأمة الإسلامية في حالة من الاستسلام الكامل للقدر ، لا تحاول التوقف لتبين طريقها الصحيح قبل أن تذهب بعيداً ، في صحراء التيه فهي في حاجة لمنقذ ما يأخذ بيدها . في ظل هذا الواقع الإشكالي وتموجات الوضع الاجتماعي ، يأتي دور المفكر المسلم والذي يتمثل في توجيه وقيادة وإنقاذ هذه الأمة ، من خلال جهوده الرامية إلى تحديد تناقضات المجتمع الجوهرية وإعطاء الدواء الشافي. فمعالجة حالة الانشطار التي تطبع الواقع الإسلامي الراهن ، الفكري منه والسياسي والاقتصادي تتم عبر التحليل العقلي النقدي للواقع ومايسوده من نظم معرفية وقيم وأنماط فكرية وحضارية. فإحياء الحس النقدى معناه أحياء الحس بالحرية والتغيير والتقويم والحوار المستمر .

ضمن هذا الإطار أي إطار التحليل النقدي الهادف لإنقاذ هذه الأمة, يأتي كتاب **(الحضارة الإسلامية – المفهوم – العوامل – الأسس – النظم)**[1]. للدكتور عبد الله محمد الأمين.

يتناول الكتاب عدة مواضيع أهمها ما يلي.

- معالجة بعض المصطلحات من زاوية إسلامية كمصطلح الحضاره والثقافة والمدنية.
- تقويم نقدي للنظريات الغربية التي تناولت عوامل النشوء والسقوط الحضاري.
- إجراء حوار إسلامي مع النظريات الغربية التي تناولت عوامل نشوء وسقوط الحضارات.
- إبراز الرؤية الإسلامية للنشوء وسقوط الحضارات.
- مرتكزات و نظم الحضارة الاسلامية.

لتحقيق الاهداف أعلاه قسم الباحث الدراسة إلى أربعة فصول. تناول الباحث

في الفصل الأول: مصطلحات رئيسية في الدراسة كمصطلح الحضارة والمدنية والثقافة ، مبيناً تباين هذه المصطلحات في الفكر الغربي والفكر الإسلامي ، وذلك نتيجة لتباين الأطر والخرائط المعرفية لكل من الفكر الغربي والفكر الإسلامي.

وفي الفصل الثاني: ركز الباحث على عوامل قيام وسقوط الحضارات بغرض التوصل إلى قانون عام يحكم حركة النشاط الإنساني الخلاق ويحكم الدافعية للإنجاز الحضاري . وقد ذكر الباحث أن الحضارة ظاهرة إنسانية إرادية وأن قيامها وسقوطها رهين عوامل تدخل في نطاق الكسب الإرادي للإنسان. في هذا الفصل أيضاً قارن الباحث بين الرؤية الغربية للتغيير الحضاري والرؤية الإسلامية.

أما في الفصل الثالث: فقد تناول الباحث المرتكزات التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية، ومن أهمها التوحيد والوسطية والعالمية وعمارة الكون. هذه المرتكزات تؤكد الناحية الدينية للحضارة الإسلامية ، وطبيعة القيم التي تنادي بها.

في الفصل الرابع : تناول الباحث نظم الحضارة الإسلامية – والتي تتمثل في النظم السياسية ، الإدارية ، المالية ، الاقتصادية، الاجتماعية ، الفكرية ، ونظام الفنون الإسلامية.

استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج التحليلي وقد توصل الباحث إلى نتائج تتمثل في الآتي:

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث هي:

- الرؤية الإسلامية لمفهوم الحضارة غير مقصورة على الرقي والتقدّم في الجانب المادي فقط, وإنما تشتمل على النسق العقيدي الذي يحدد طبيعة العلاقة مع الله والغيب والكون والإنسان. فالتقدم في الإسلام مادي ومعنوي وتوحيدي وإنه إنساني أصلاً . فجوهر الحضارة الإسلامية , والعامل الرئيس في النشاط والفعل الإنساني هو التوحيد.

---

* محاضر في مجال علم الإجتماع بمعهد إسلام المعرفة – جامعة الجزيرة, السودان.

[1] تأليف: د.عبد الله محمد الأمين النعيم ، الناشر : معهد إسلام المعرفة بجامعة الجزيرة ، السودان ، الطبعة الأولى 2007معدد الصفحات :224

- إن قيام وسقوط الحضارة يكمن في الموقف البشري نفسه , والإرادة الإنسانية , ومن ثم فإن إشكالية التخلف الاجتماعي ترجع إلى الإنسان وليس إلى عوامل أخرى .
- إن الاختلاف بين الناس مبدأ تكويني , وهذا يفسر تعدد المسارات الحضارية , فالمجتمع الإنساني ليس واحد في تقدمه وتطوره , فليس هناك خط تطوري متصاعد من الحالة البدائية إلى الحالة الحضارية , وانما لكل ثقافة أطرها وخرائطها المعرفية وأسلوبها الخاص في التفكير , فليس هناك قانون عام يعبر عن ميكانزمات النهضة في كل العصور والاوطان. ولكن هذا لا يمنع إمكانية التعارف, وإمكانية وجود أرضية مشتركة بين الحضارات الإنسانية.
- إن فكرة عالمية الحضارة الإسلامية متصلة مباشرة بفكرة ختم النبوة, ففكرة ختم النبوة إعلان لانتهاء الدورات الحضارية.

الخاتمة :

يستحق هذا الكتاب القراءة المتأنية الواعية في زمن سيطر فيه النموذج الحضاري الغربي على كل جوانب الحياة وعلى الخريطة المعرفية والإدراكية للعالم, والذي يؤمن بأن الواقع الموضوعي يحوي داخله ما يكفي لتفسيره دون الحاجة إلى وحي أو غيب , وأنه النموذج الأوحد والذي يجب أن يحتذى , يأتي هذا الكتاب ناقداً لهذا النموذج ومبيناً تناقضاته الجوهرية , ومبرزاً دور النموذج الإسلامي في الفعل والنشاط الحضاري, ومبيناً مقدرة النموذج الإسلامي على الإجابة على التساؤلات الجزئية والكلية والنهائية.

ويؤكد الكتاب على نقطة في غاية الأهمية وهي أن المحرك الأساس لتفاعلات النشاط الإنساني الخلاقة , وتحقيق مجتمع الإنجاز , يكمن في أساليب التفكير والإرادة الإنسانية.

يكذب الكتاب فكرة نهاية الايدلوجيا ونهاية التاريخ , التي تكرس لها الحضارة الغربية , متمثلة في أفكار هيجل , وأخيراً فوكوياما , فالإنسان الأخير يعاني من التأزم والانشطار لأنه إنسان ذو بعد واحد , حسب تعبير ماركوز.

يؤكد الكتاب على أن إهمال جانب من جوانب الحضارة يحدث نوعاً من الفراغ في فهم واقع المجتمعات الإنسانية , أذ ينبغي أن تقوم الحضارة على التساند الوظيفي والتناسق بين الجانب المادي والجانب الروحي.

- بما أن المعرفة العلمية ذات طابع تراكمي, فان الكتاب يفتح المجال لدراسات قادمة لتغطية المواضيع الآتية:

1. دور القيادة التغييرية في تحقيق الفعل الحضاري الإسلامي.
2. شروط التثاقف الحضاري.
3. دراسات وصفية لواقع المجتمعات الإسلامية , لمعرفة درجة الانحراف بين النموذج المثالي في التغيير الحضاري والذي تناوله الباحث والواقع الفعلي , وذلك بغرض اصلاح واقع المجتمعات الإسلامية.